**بسم الله الرحمن الرحيم**

طرق البحث في التفسير الموضوعي وأشهر المؤلفات فيه[[1]](#footnote-1)

1. تعريف التفسير الموضوعي:

تعددت تعريفات التفسير الموضوعي ووقع بينها اتفاق واختلاف لأنها نتاج اجتهاد جاء في ضوء فهم لدى أصحابها وقناعات. ومن تعريفات الواردة للتفسير الموضوعي ما يلي:

\_ تعريف د. مصطفى مسلم:

هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر[[2]](#footnote-2).

\_ علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها ، على هيئة مخصوصة ، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع[[3]](#footnote-3).

\_ هو العلم الذي يتخذ من الموضوعات الظاهرة أساسا في الكشف عن منهج القرآن وأسلوبه في معالجته لها متخذا من القواعد والشروط في التفسير سلما للوصول إلى هدي الكتاب وجلال شأنه.

\_ علم يعنى بالكشف عن موقف القرآن الكريم من قضية ما، في ضوء ما يتصل بها من آيات ، ضمن منهج ذي مجالات وخطوات.

وبلفظ آخر: عملية منهجية تتجه نحو الآيات القرآنية ، من حيث موضوعها لا موضعها، بغير الكشف عن الموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم، وتصنيفها تحت ما يناسبها من مجالات، وإفرادها في كتابات تبرز ما فيها من دلالات وهدايات[[4]](#footnote-4).

1. طرق البحث في التفسير الموضوعي:

أولا: منهج البحث في موضوع من خلال القرآن الكريم:

1. اختيار الموضوع:

إن أنسب الطرق المعينة على وضع ضابط، للموضوع المناسب للدراسة التفسيرية الموضوعية ، هو أن يكون الموضوع خادما للمقاصد القرآنية ، بالكشف عن جوانبها، وإبراز مظاهرها.

ومقاصد القرآن كما أوردها الطاهر بن عاشور ثمانية :   
1. إصلاح الاعتقاد.

1. تهذيب الأخلاق.
2. التشريع.
3. سياسة الأمة بإصلاحها ، وحفظ نظامها.
4. عرض القصص وأخبار الأمم للتأسي بصالح أحوالهم.
5. التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين.
6. المواعظ والإنذار والتبشير والتحذير.
7. الإعجاز بالقرآن ليكون آلة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

فوائد استحضار هذه المقاصد:

1. يجعل الموضوع أكثر قربا من القرآن الكريم.
2. استبعاد الموضوعات التي لا تتوافق مع هذه المقاصد القرآنية.
3. إخراج الموضوع من القرآن الكريم وعدم فرض موضوعات من الخارج، حتى لا يؤدي إلى تكلف في التفسير ، وتجن في استخلاص النتائج.

وبعد تحديد الموضوع يختار الباحث عنوانا لبحثه من ألفاظ القرآن أو منتزع من صميم معانيه، فمن أراد أن يكتب عن الشورى في القرآن لا ينبغي أن يكتب عنوان بحثه الديمقراطية في القرآن ، أو يكتب عن التكافل الاجتماعي في القرآن لا يصلح أم يقول: الاشتراكية في القرآن.

1. الخطوة الثانية: جمع الآيات ذات الصلة بالموضوع الواحد لفظا ومعنى

، وهذه خطوة متعينة في التفسير الموضوعي. فتجمع الآيات حسب موضوعها لا حسب موضعها، فتجمع جمع الآيات التي تتضمن الحديث عن موضوع محل الدراسة. مثل الصدق ، الظلم، العدل وهكذا.

وهناك ثلاث وسائل يمكن من خلالها جمع آيات الموضوع الواحد وهي:

1. النظر المباشر في القرآن الكريم:

وأهمية هذه الطريقة أنها تبين السياق الذي وردت فيه الآية .

1. معاجم الألفاظ:

ظهرت مؤلفات عنيت بجمع ألفاظ القرآن الكريم ، حين تورد الآيات التي تضمنت لفظة ما بكل تصريفاتها ، في صعيد واحد، وتشير إلى رقم الآية والسورة .

من الكتب المساعدة في ذلك:

* غريب القرآن للراغب الأصفهاني.
* الأشباه والنظائر للدامغاني.
* الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لأبي هلال العسكري.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي.
* المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن إعداد مركز تفسير .

إلا إن هذه الكتب لا تجمع الآيات التي تتصل بالموضوع لفظا ومعنى، فهي تجمع تصاريف اللفظة الواحدة، لكنها لا تعتنى بذكر الألفاظ المرادفة لها معنى مثل المرأة فمن مرادفاتها ؛ الزودة، النساء، الأنثى، البنت ، الخ.

1. معاجم الموضوعات :

اعتنت كتب معاجم الموضوعات بجمع الآيات المتصلة بها لفظا ومعنى، ولكن بعضها لم يكن يسلك المنهج الاستقصاء في جمع الألفاظ ومردفاتها مما يجعل هذه الكتب غير كافية لجمع الألفاظ المرادفة للكلمة محل الدراسة .

من الكتب في هذا الموضوع:

1. تفصيل آيات القرآن الحكيم ، وضعه باللغة الفرنسية جول لابوم ، وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي ،قسم كتابه إلى ثمانية عشر بابا ، وأورد تحت كل باب فروعا بلغت 350 فرعا، وتحت كل فرع الآيات الخاصة به ، ويذكر رقم الآية ورقم السورة فقط دون اسمها، ومن أبرز المؤاخذات على الكتاب عدم استيعابه للموضوعات والآيات. مثل اسقاط آية الحج من موضوع الحج .

2. المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، وضعه صبحي عبد الرؤوف عمر. صنف المؤلف كتابه تحت ثلاث موضوعات عامة وهي أركان الإيمان والإسلام ثم التقوى ، ثم الكفر والفسوق والعصيان، وأورد تحت هذه العناوين موضوعات فرعية.

إلا إن الكتاب أغفل بعض الموضوعات مثل العمرة ، وأورد آيات تحت موضوعات لا صلة لها بها.

وقد ختم الباحث كتابه بفهرسة للموضوعات التي ذكرها وهو جهد متميز يخدم الباحثين.

1. المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، وضعه حسان عبد المنان. ذكر الباحث في كتابه موضوعات عديدة ، منها الأخلاق الحميدة، والأخوة ، والإشاعات، والطلاق وغيرها.

يؤخذ على المصنف أنه لم يكن دقيقا في إيراد الآيات تحت موضوعاتها.

1. الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم، وضعه محمد مصطفى محمد.
2. المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم، وضعه محمد بسام شريف الزين. وسار في كتابه على المنهج التالي:
3. جمع الآيات ذات الموضوع الواحد لفظا ومعنى .
4. صنف الآيات ذات الموضوع الواحد، وقسمها إلى فرعيات .
5. رتب الموضوعات الرئيسة الفرعية ترتيبا معجميا.
6. سلك الباحث منهج الإحالة حبين يضطر إلى ذكر الموضوع أو الآية في أكثر من موضع.
7. الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن ، محمد زكي صالح. والكتاب لم يستوعب جميع الموضوعات.
8. المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم ، محمد نايف معروف. رتب الباحث الكتاب على حروف الهجاء .
9. المعجم المفصل لمواضيع القرآن المنزل وضعه محمد خليل عيناني.
10. تصنيف آيات القرآن الكريم وضعه محمد محمود إسماعيل.
11. تبويب آي القرآن الكريم من الناحية الموضوعية ، أحمد إبراهيم مهنا.
12. الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري.
13. الجامع لمواضيع القرآن الكريم ، محمد فارس بركات.

وهذه المصنفات يمكن الاستفادة منها ، ولكن مع ملاحظة أنها لا تخلو من ثغرات ، ونواقص ، الأمر الذي يفرض على الباحث أخذ الحيطة من عدم الاعتماد الكلي عليها في مجال التصنيف والجمع.

الخطوة الثالثة: ترتيب الآيات:

وفي هذه الخطوة يجب أن يراعي الباحثين مسألتين:

**المسألة الأولى:**

ترتب الآيات حسب الموضوع بتقسم الآيات حسب عناصر البحث أيا كان موضوعه. وإن امكن ترتيب الآيات داخل المبحث بحسب نزولها فيما لا يتعارض مع الموضوع فذلك حسن. وإلا فترتيب الآيات حسب الموضوع أولى من مراعاة أسبقية النزول.

مثال ذلك:

موضوع منهج القرآن في معالجة المشكلات الزوجية.

فإن للقرآن في ذلك منهجا منضبطا، يبدأ بتذكير الزوجين بأن لكل منهما له حقوق وعليه واجبات، ثم يأتي الوعظ وما يتبعه ثم يأتي تدخل الحكمان، ثم إذا أغلقت سبل الإصلاح بينهما يأتي الطلاق.

ولكن الحديث عن الطلاق جاء في سورة البقرة، في حين أن الوعظ، والهجر، والضرب، والاستعانة بالحكمين جاء في سورة النساء، ونحن نعلم أن سورة النساء جاءت متأخرة في النزول عن سورة البقرة.

قال ابن عاشور: (واتفق العلماء على أن سورة النساء نزلت بعد البقرة، ويتعين أن يكون نزولها متأخراً عن الهجرة بمدة طويلة، والجمهور قالوا إنها نزلت بعد آل عمران).

فالترتيب بحسب تاريخ النزول يقتضي تقديم الحديث عن الطلاق وأحكامه، على الحديث عن الأساليب التي شرعها الإسلام للحيلولة دون وقوع الطلاق باعتباره الحل الأخير.

**المسألة الثانية:**

مراعاة سياق الآيات ، فإن انتزاع الآية من سياقها يوقع الباحث في عدم القدرة على الكشف التام عن دلالة الآية.

والباحث أمامه ثلاث أنواع من السياقات:

الأول: مراعاة سياق السورة الذي وردت فيه الآية. هل هي مكية أو مدنية.

الثاني: مراعاة سياق الآيات التي وردت فيه الآية فآية : " حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين" فإنها وردت في سياق آيات تتحدث القضايا الأسرية والمشكلات الزوجية. مما يوهم أنه لا صلة بين هذه الآية والآيات قبلها أو بعدها. وهذا يؤدي إلى تجاهل كثير من المعاني المهمة التي نستحضر منها هناك صلة وثيقة بين المشكلات الزوجية وبين المحافظة على الصلاة ، فهذه المشاكل تؤدي إلى تأخير الصلاة والانشغال عنها، وإن المحافظة عليها في وقتها سبب من أسباب القضاء على الخلافات الزوجية، والمشكلات الأسرية فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتهذب السلوك وتزيد في الإيمان المعين على تجاوز المشكلات وحسن إدارة الأزمات.

الثالث: مراعاة سياق الآية نفسها فعند الكتابة عن مصطلح الذين في قلوبهم مرض وتفسيرها بالمنافقين في قوله تعالى : " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض" هل العطف هنا يقتضي التغاير أم التساوي ؟ فهذا يحتاج لتأمل ونظر عند الدراسة والبحث.

الخطوة الرابعة: التفسير التحليلي للآيات:

على الباحث أن يقف على تفسير الآيات تفسيرا تحليليا بغية الكشف عما تضمنته من دلالات، وهدايات، وهذا أمر بالغ الأهمية. وذلك لأن تحقيق أهداف التفسير الموضوعي يعتمد على فهم معاني الآيات فهما دقيقا وفق كلام السلف وأئمة التفسير المعتبرين، حتى يتمكن الباحث من الخروج بالمفاهيم الصحيحة، والمعاني الدقيقة التي تعينه على بيان موضوعه بيانا صحيحا، منطلقا من المعاني الصحيحة لتفسير كلام الله تعالى، بعيدا عن التأويل المنحرف، أو التكلف المذموم في فهم كلام الله تعالى.

وهذه الخطوة هي الفيصل بين بحوث التفسير الموضوعي، والبحوث الإنشائية الثقافية التي تعرض للقضايا الإسلامية.

قال د. رحماني: " ، أن بعض المفسرين ، الذين عنوا مشكورين، بهذا المنهج يعمدون أحيانا عن حسن نية، إلى عملية التكديس، فيجمعون كل الآيات المتعلقة بالموضوع ثم يرصفونها رصفا ، بدون تحليل أو تفسير يبين مبرر وجودها هنا، دون وجودها هناك، أو يكشف سبب اختلاف صياغتها، عن صياغة مماثلتها أو جوانب التكامل بينها، أو سر استخدام كلمة، هنا لم تستخدم هناك وهكذا".

مثال ذلك:

موضوع العلاقات الزوجية في ضوء القرآن

يتضمن الحديث عن الوعظ والهجر في المضجع والتأديب، استنادا لقوله تعالى: ( اللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) النساء: 34.

وقوله تعالى : وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما م أهله وحكما من أهلها إن يردا إصلاحا يوفق الله بينهما..) الآية.

فأهمية التفسير التحليلي تظهر فيما يلي:

1.بيان المراد بالخوف في الآية. هل الخوف المذكور هو على حقيقته، بمعنى توقع حصول ما يضر، فيكون التأديب بمراحله مبنيا على الظن، أو أن الخوف هنا بمعنى حصول الشيء ، وظهور علاماته ، فيكون التأديب مبنيا على اليقين.

فالذي يعين على فهم هذا المعنى، تتبع لفظ الخوف في القرآن الكريم، للوقوف على عادة القرآن الكريم في استخدامه، بغير توظيف هذا الاستخدام القرآني في توجيه معنى هذه الآية، وهذا كله من معطيات ونتاج التفسير التحليلي ولا تفهم الآية بدونه.

2.على ماذا تعود ألف الاثنين في قوله تعالى : (إن يريدا إصلاحا) هل على الحكمين أو الزوجين؟

أوجز المفسرون في التفسير التحليلي عود ألف الاثنين على النحو التالي:

أ. إن يريد الزوجان إصلاحا يوفق الله بينهما.

ب. إن يريد الزوجان الإصلاح يوفق الله بين الحكمين.

ج. إن يريد الحكمان إصلاحا يوفق الله بينهما.

د. إن يريد الحكمان إصلاحا يوفق الله بين الزوجين.

وكلها معان يحتملها النص، ولا تعارض بينها، كفيلة بأن تثري الموضوع ، وتسهم في اتساع فهمه في ضوء هذه التوجيهات الربانية ، والتي جاءت في غاية الإيجاز.

إن هذا المنهج هو الكفيل بأن يجعل الآيات \_ في ضوء مراد الله تعالى\_ أصلا منها يبدأ الموضوع ، وإليها يعود، لا أن تأتي الآيات تبعا لتكون شاهدا على رأي تقرر، أو حكم مسبق، فإن هذا خلل يفضي إلى سلبيات تفضي بصاحبها في التأويل المنحرف.

ومما يدل على أثر التفسير التحليلي على بناء التفسير الموضوعي المثال التالية:

في قوله تعالى : " وشاورهم في الأمر" في هذه الآية مسائل عرض لها التفسير التحليلي مثل: هل الأمر في الآية للندب أو للوجوب؟ وهل هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم أم له ولأمته؟ وهل "أل" في الأمر للجنس أو للعهد؟ وهل المشاورة في الشؤون كلها أو في بعضها مما يحتمل الاجتهاد، ومن هم أهل المشورة من المسلمين؟ وهل هي شورة ملزمة ؟

كل هذه المسائل لا يجيب عليها إلا التفسير التحليلي.

قال د. زيد العيص: " إن الباحث في التفسير الموضوعي أشبه ما يكون بمن ينظم عقدا يلتقط حباته من نتاج التفسير التحليلي، فحبة من تفسير المفردات، وثانية من عود الضمير، وحبة ثالثة من لطيفة بلاغية، ورابعة من سبب نزول، وما شابه هذا من حبات منثورات، في ثنايا التفسير التحليلي الذي أجاد في هذه المجالات ووفر للمفسر الموضوعي لينظم عقد موضوع قرآني".[[5]](#footnote-5)

الخطوة الرابعة: كتابة الموضوع:[[6]](#footnote-6)

لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع، وقد يفرض الموضوع طبيعة المنهج والخطة التي سيجري البحث من خلالها. فإن كان الموضوع متشعب المباحث والمجالات لا بد عندئذ من وضع تمهيد بين الباحث فيه منهجه في تناول الموضوع.

ثم يقسم الموضوع إلى أبواب ويضع تحت كل باب فصولًا وتحت كل فصل مباحث فيجعل العنصر الأساسي الجامع عنوانًا للباب ثم يجعل العنصر الفرعي عنوانًا للفصل، ثم يجعل الجزئيات الصغيرة عناوين للمباحث.

أما إذا كان الموضوع محدد المعالم والآفاق واضح المجالات قليل العناصر، فلا بأس من بحثه عندئذ على شكل مقاله علمية تتكون من مقدمة وصلب الموضوع وخاتمة، يتناول في كل ذلك القضية المطروحة بأسلوب علمي رصين موثق بالأدلة والشواهد، وبدون خلاصة ما توصل إليه في الخاتمة بشكل موجز.

8- وليكن هدف الباحث في كل ذلك:

- إبراز حقائق القرآن الكريم، وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكر حكمة

التشريع وجماله ووفائه بحاجات البشر وملاءمته للفطرة السليمة وإطلاقه للطاقات الإيجابية في الإنسان.

- عرض تلك الحقائق بأسلوب مشرق عذب بذكر الأفكار متسلسلة آخذة برقاب بعضها ملبية لاستشراف نفس القارئ، مجيبة عن استفساراته المتوقعة، وذلك باتباع الأسلوب البياني الصحيح الذي يفهمه أهل عصره، متجنبًا الألفاظ الغريبة المهجورة وأساليب السجع المتكلفة.

ملحوظات:

1- على الباحث في التفسير الموضوعي أن يجعل عناوين الأبواب والفصول من المادة القرآنية والعناصر البارزة فيه.

أما السنة المشرفة فدورها في التفسير الموضوعي التوضيح والبيان والاستدلال وذلك حفاظًا على قرآنية الموضوع.

وكذلك أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة اللغة، فكلها مادة للشرح والتوضيح والترجيح، ولا تشكل عناصر الموضوع الأساسية.

2- على الباحث أن يلتزم بالمنهج الصحيح في التفسير، وذلك بإبعاد الروايات الضعيفة والإسرائيليات والقصص التاريخي عند عرض الموضوع القرآني وتركيز الجهد لاستنطاق النصوص الكريمة على قواعد اللغة والأساليب البيانية، ودقة الاستنباط منها.

3- عند الحاجة إلى شرح كلمة غريبة أو توجيه، قراءة، أو إبراز نكتة بلاغية أثناء عرض أحد عناصر الموضوع، يجعل ذلك تعليقًا في الحاشية من غير استطراد يخل بتسلسل الأفكار وتعانق الفقرات وسلاسة الأسلوب وإشراقة البيان.

ثانيا منهج البحث في التفسير الموضوعي في سورة واحدة:

تحديد محور السورة:

قبل البدء في تفسير السورة لا بد من دراسة أولية حول السورة تحت عنوان: بين يدي السورة أو على هامش السورة تتناول:

1. معرفة سبب نزولها أو أسباب نزول مقاطعها. فربما نزلت السورة جملة واحدة ويكون لها سبب نزول واحد، وربما نزلت السورة متفرقة لمناسبات متعددة، وعند التمعن تجد أن عمومات السورة أو المحور الذي تدور السورة حوله يربط هذه المقاطع أو الآيات بنظام معين، فمعرفة أسباب النزول تعين على التعرف على هذا النظام الذي يجمع عقد السورة أو المحور الذي تدور السورة حوله، والجو العام الذي نزلت فيه السورة . كما تعين على تحديد غرض السورة إلى حد ما خاصة إذا تعددت أسباب النزول، مع ضرورة التنبه إلى ما صح منها ، وما لم يصح. ثم التنبه إلى عدم تعميم دلالة هذا السبب على السورة كلها.

ولا بأس بذكر فضائل السورة بذكر الأحاديث الصحيحة فيها ، ولا يحسن المبالغة في هذه المسألة ، لأنه ليس له أثر على دراسة السورة نفسها.

ب- التعرف على الهدف الأساسي للسورة أو المحور الذي تدور السورة حوله:

1- يمكن معرفة ذلك من خلال التعرف على دلالة اسم السورة أو أسمائها التي ثبتت عن طريق الوحي، أي بالتوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول البقاعي في نظم الدرر:

"قال شيخنا الإمام المحقق أو الفضل محمد البجائي المالكي ...

الأمر الكلي المقيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراق نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلًا بين كل آية وآية في كل سورة. والله الهادي.

2- ويمكن التعرف على هدف السورة أو محورها من خلال استعراض الأحداث البارزة أو القضايا الأساسية التي تناولتها السورة.

فلو أمعنا النظر في القضايا البارزة في السورة لوجدنا أن بينها رابطًا يربطها، وقد يدق هذا الرابط فلا يدرك إلا بعد دراسة السورة دراسة عميقة ومعايشة أجوائها وتفيؤ ظلالها.

3- كما يمكن التعرف على هدف السورة أو أهدافها من خلال المرحلة الزمينة التي نزلت فيه السورة، فمن المعلوم أن السور المكية أكدت على تقدير أربعة أمور: الإيمان بالله وحده، الإيمان بالبعث بعد الموت، الإيمان بالرسالات السماوية، الدعوة إلى أمهات الأخلاق. فإذا كانت السورة مكية فلا يخلو الأمر من أن يكون من أهدافها الأساسية هذه الأسس الأربعة مجتمعة أو متفرقة. والسور المدنية بالإضافة إلى تقرير ما سبق استهدفت بناء المجتمع الإسلامي على أسس من الإيمان والطاعة والتشريعات التفضيلية في شئون الحياة كما استهدفت حماية المجتمع الإسلامي من الأخطار الداخلية والخارجية، بكشف خطط المتآمرين الحاقدين الساعين في الأرض بالفساد من اليهود والمنافقين، فلا تخلو سورة مدنية من قضية البناء، أو الصيانة والحماية، فيمكن التعرف على الهدف الأساسي أيضًا من خلال التعرف على القضايا المعروضة في السورة، ومن خلال المرحلة الزمنية لتطور المجتمع الإسلامي أيضًا.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن بعض السور يمكن أن نجد لها عدة محاور تدور حولها من غير تناقض ولا تعارض ولا تصادم. ويمكن تحديد كل محور والتعرف على دائرته من خلال زاوية الرصد التي نرصدها.

تمامًا كما نتعرف على مسارات وأفلاك لبعض الكواكب وقد تتداخل أحيانًا من غير وقوع تصادم بينها، ويمكن تحديد مساراتها حسب زاوية الرصد وحسب نقطة الارتكاز التي نحددها لمعرفة مسارات هذه الكواكب.

فسورة الكهف مثلًا يمكن تحديد عدة محاور أو أهداف لها. فمثلًا:

عندما ندرك أنها سورة مكية نزلت في مرحلة متقدمة من مراحل الدعوة إلى الله. فقد ورد في صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: في بني إسرائيل -أي الإسراء- والكهف ومريم: "إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي" (صحيح البخاري، كتاب التفسير: 5/ 223.)

وكما قلنا: إن السورة المكية جاءت لترسيخ أسس أربعة فيمكن رصد آيات السورة ومقاطعها من زاوية أي أساس من هذه الأسس.

فلو أخذنا قضية الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، ونظرنا إلى افتتاحية السورة وإلى قصصها الأربع وإلى خاتمتها لوجدنا أن قضية التوحيد لافتة للنظر فيها ولا يخلو مقطع من هذه المقاطع من الدعوة الصريحة إلى توجيه العبادة لله سبحانه وتعالى والإخلاص له في القول والعمل وترك عبادة الطواغيت والآلهة المزعومة والشركاء.

ولو حددنا وجهة نظرنا في البحث عن الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر من خلال افتتاحية سورة الكهف وقصصها الأربع وخاتمتها، لوجدناها من أبرز القضايا في كل المقاطع بحيث لا نحتاج إلا لاستعراض سريع لآيات، والأدلة أكثر من أن تساق للاستشهاد بها.

ولو أمعنا النظر في الآيات باحثين عن قضية إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال آيات السورة لوجدناها محورًا أساسًا في ذلك يعيننا في تحديد معالم ذلك سبب النزول والافتتاحية والخاتمة بشكل قوي لافت للنظر، ولوجدنا أن هناك روابط قوية تشد القصص الأربع إلى هذا المحور شدًا لا يمكن الفكاك منه.

ولو أردنا أن نلقي أضواءً على أمهات الأخلاق التي استهدفت الكهف ترسيخها والقيم الثابتة التي دعت إليها بالدعوة الصريحة لها أحيانًا والتمثيل الرائع بضرب الأمثال للقيم الحقيقية وضرب الأمثال للقيم الزائفة الخادعة التي تموه الباطل على الناس وتظهره على غير حقيقته أحيانًا أخرى وبالترغيب في التمسك بالحقائق والقيم الخلقية الرفيعة، والترهيب من القيم الزائفة أحيانًا، لأدركنا أن هذا الهدف الذي ترمي إليه السورة لا يقل أهمية عن الأهداف الثلاثة الأولى.

وهكذا فحينما تحدد زاوية الرصد للآيات الكريمة ومقاطع السورة -بشرط أن تكون رؤيتنا صحيحة، وإحاطتنا بقضايا السورة العامة وأسباب نزولها دقيقة- نجد أن لكل سورة شخصيتها المستقلة وهدفها أو أهدافها المحددة التي ترمي إليها، وأسلوبها الخاص بها، واختيار طريقة العرض للقضايا، وسوق القصص اختصارًا أو إسهابًا أو إشارات مقتضبة، كل ذلك لتكمل شخصية السورة وأجواؤها لإبراز الهدف الأساسي أو القضايا الرئيسية التي تناولتها السورة.

4- المناسبات بين مقاطع السورة ودورها في التعرف على هدف السورة أو محورها:

عند تقسيم السورة إلى مقاطع أو فقرات حسب ارتباط الآيات بعنصر من عناصر الموضوع لا بد من الرجوع إلى كتب التفسير الموثوقة للاطلاع على الروايات الصحيحة من السنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآيات، وذلك للإحاطة بمعاني الآيات ومحاولة التعرف على المناسبات بين هذه المقاطع فقد تكون المناسبة جلية واضحة بينها، وقد تدق فلا تظهر، وقد تكون المناسبات بينها وبين محور السورة ظاهرة جلية وقد تكون دقيقة خافية وكثيرًا ما يكون التعرف على المناسبات بين المقاطع طريقًا لمعرفة الهدف الأساسي من السورة أو المحور الذي تدور حوله السورة. وقد يكون النظر في فاتحة السورة وخاتمتها وإبراز القضايا المشتركة بينهما دليلًا على الهدف الأساسي في السورة فكثير من السور القرآنية يرد فيها العجز على المصدر لترسيخ مفاهيم معينة أو التذكير بقضية جاءت السورة لبيانها. إن آثار إدراك المناسبات بين المقاطع والأجزاء في السورة على التعرف على هدف السورة كبيرة. وبالمقابل فإن ظهور الهدف في السورة يعين كثيرًا على التعرف على المناسبات بين مقاطعها وفقراتها فالأضواء منعكسة على بعضها من الجهتين تنير السبيل أمام الباحث للسير بخطى ثابتة راسخة في بحثه، فلا يهمل هذا الجانب في التفسير الموضوعي للسورة.

وبعد التعرف على هدف السور الأساسي وتحديد المحور الذي تدور حوله تتبلور المناسبات بين المقاطع جميعها وبين المقاطع والمحور وبين الفاتحة والخاتمة، ويدرك الباحث وجه الاستطرادات التي وردت في السورة وتظهر له من الحكم والأسرار القرآنية على حسب ما أوتي من ملكة في الاستيعاب والغوص في المعاني.

الدراسة في السورة:

وذلك من خلال ما يلي:

1. تفسير السورة تفسيرا تحليلا، بحيث يكون التفسير بين يدي الباحث ينهل ويحيل إليه ويعتمد عليه ويذكر منه في دراسته ما تدعو الحاجة إليه بإيجاز.

2.وضع عنوان للسورة أو الكشف عن الغرض العام لها، وهو غير البحث في اسمها، لأنه ليس بلازم أن تكون الصلة قائمة بين اسمها ومضامينها كلها.

3. السعي إلى ربط القضايا الجزئية في السورة بغرضها العام ، ويتحقق هذا من خلال استيعاب القضايا الجزئية التي جاد بها التفسير التحليلي ، ثم ترتيبها تحت العنوان الكبير، الذي هو الغرض العام

4. استحضار العلوم التي تعد استمدادا لعلم التفسير مثل المأثور بشقيه المرفوع والموقوف، وعلم اللغة ، وأخبار العرب .

5. الشروع في كتابة الموضوع ، والعناية بالكشف عن هدايات السورة والربط بينها بأسلوب لا تنافر فيه بغية تحقيق الوحدة الموضوعية للسورة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

1. مراجع هذه المحاضرة التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، أ. د زيد العيص، ومباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم . [↑](#footnote-ref-1)
2. ) مباحث في التفسير الموضوعي: 16. [↑](#footnote-ref-2)
3. ) دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر الألمعي، 7. [↑](#footnote-ref-3)
4. ) التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، د. زيد العيص، 12\_ 21. [↑](#footnote-ref-4)
5. التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، ص 211. [↑](#footnote-ref-5)
6. مباحث في التفسير الموضوعي (ص: 39) [↑](#footnote-ref-6)